الدارة

لمحات اخبارية وتحليلية عن

مهرجان العالم الإسلامي

لندن ١٩٧٦

د . عبد الله حسن مصري

مدير ادارة الآثار والمتاحف
بوزارة المعارف

مهرجان فن التراث الاسلامي المقام حاليا في مدينة لندن ، الذي تم افتتاحه في أوائل شهر أبريل ـ نيسان ١٩٧٦ (ربيع الاول ١٣٩٦) ويستمر حتى نهاية شهر يوليو (رجب) من هذا العام ، يعتبر بحق أضخم استعراض عالمي في العصر الحديث عن المعطيات المادية والابداعية لتراث الامة الاسلامية عبر تاريخها العميق وحتى واقعها الحاضر ... والاهم من ذلك أن الفكرة لتحقيق ذلك المهرجان جاءت لتعكس صورة واضحة وحقيقية عن تجربة أمة لازالت تمسك أطرافها وحدة الروح ورابطة العقيدة مما يجعل موقفها فريدا وأصيلا بين تجارب أمم العالم المعاصر .

ولاشك أن هذا الانطباع هو مايتلمسه كل من تمعن في مختلف برامج المهرجان أو جزء منها . وعلى كل حال فالمشاهد العادي لن تفوته الملاحظة العابرة أن الانتاج الحضاري للامة الاسلامية ذات الشعوب المختلفة في ماضيها وحاضرها يتصف بوحدة مستمرة في الجوهر حتى مع اختلاف الظروف الثقافية والجغرافية .

في هذا المقال المختصر (حيث أن المهرجان فكرة وعمل لايمكن استعراضه تماما في مثل هذا الحيز) أود أن أعبر عن بعض الظواهر الفنية للحضارة والفنون الاسلامية التي تمكن القائمون على المهرجان من ابرازها في اطار المهرجان ، ومدى ارتباط ذلك المجهود بالمعطيات الحقيقية لواقع التراث الاسلامي .

وقبل أن نتعرض لتلك النواحي الفنية يبدو أنه من المناسب القاء لمحة توضيحية على خلفية فكرة اقامة المهرجان وتطورها عبر الفترة الزمنية الاعدادية وحتى افتتاح المهرجان في أوائل ربيع هذا العام ، بما في ذلك تجاوب الدول والمنظمات الاسلامية مع المشروع ، ثم العناصر المعرضية التي ساهمت بها المملكة العربية السعودية ضمن برامج المهرجان .

أولا : خلفية فكرة المهرجان :

تبلورت فكرة اقامة مهرجان فن التراث الاسلامي ضمن اطار علمي ـ اعلامي يهدف أولا الى خدمة الرأي العام الغربي في التعرف على حضارة وشعوب الامة الاسلامية بعد مرور حقبة طويلة من الزمن اتسمت ، على أقل تعبير ، بالتباعد الفكري والجهل الواضح من جانب الشعوب الغربية تجاه الامة الاسلامية حضارة تاريخية وواقعا ، ولا جدال في القول بأن الدعوة الى التضامن الاسلامي كانت ذات أثر فعال في تصعيد الوعي وتركيز الجهد نحو ابراز الحضارة الاسلامية والتعريف عنها . وقد كانت فكرة اقامة المهرجان في لندن وليدة هذا الاطار اذ نادت بها نخبة من رجال العلم والاعلام في انجلترا بالتضامن مع رواد الجاليات العربية والاسلامية هناك حيث عقدوا العزم على ضرورة اخراج مهرجان يليق بمعطيات حضارة الامة الاسلامية وشعوبها المختلفة ، وتم تكوين منظمة رسمية في عام ١٩٧٣ م ١٣٩٣هـ في مدينة لندن بمسمى « هيئة مهرجان العالم الاسلامي » هدفها ادارة وتنظيم المهرجان ثم العمل بعد ذلك على استمرار الجهود والبرامج الثقافية التي ستنبثق عن اقامة مثل هذا المهرجان مستقبلا . وتم تحديد زمن اقامة المهرجان في فترة الربيع من عام ١٩٧٦ م « ١٣٩٦ هـ » على أن يدعى في نفس الوقت الى مؤتمر علمي كبير بمسمى (مؤتمر الفنون الاسلامية) يصاحب افتتاح المهرجان وتستمر ندواته طيلة مدة الافتتاح التي تستمر حتى منتصف صيف العام نفسه ـ حوالي يوليو ـ أغسطس ١٩٧٦ « موافق رجب ـ شعبان ١٣٩٦ هـ » .

وبالنسبة للمهرجان فقد رأى القائمون عليه أنه من الافضل أن تقام البرامج المنبثقة عنه في اطار المنظمات والهيئات العلمية العامة الموجودة في بريطانيا داخل مدينة لندن وخارجها وذلك لاتاحة الفرصة لنسبة أكبر من المشاهدين . وبطبيعة الحال فان عناصر المهرجان كما وضعها المؤسسون تتطلب توزيع برامجه في أماكن جغرافية متعددة . وتشتمل العناصر الرئيسية للمهرجان ، كما نظمها المخططون ، على استعراض المعطيات الحضارية للامة الاسلامية في مجالات الدين ، الفنون ، العلوم ، الآداب ، الموسيقى والحياة المدنية . وقد وزعت هذه العناصر ضمن المعارض الاساسية التالية :

١ ـ معرض القرآن الكريم :

ويتضمن عرض نسخ قيمة من القرآن الكريم والتي يرجع زمن بعضها الى أوائل العصر الاسلامي .

ويقام هذا المعرض في مبنى المتحف البريطاني ، ويصطحب هذا المعرض برنامج لتلاوة القرآن على مختلف النماذج المتواجدة في شعوب الامة الاسلامية ـ ومكان هذا البرنامج في قاعة المهرجان الملكية .

٢ ـ معرض الفنون الاسلامية :

في قاعة هيوارد بلندن ويضم هذا المعرض أضخم مجموعة من الاعمال الفنية الفريدة والقيمة في مجالات العمارة ، والمنسوجات ، وأدوات الري والزراعة ، والادوات الخشبية والمعدنية في الصناعة والصناعة الفخارية والزجاجية .. الخ ويعتبر هذا المعرض من المميزات الرئيسية لنجاح المهرجان .

٣ ـ معرض العلوم والصناعة في الاسلام :

ويقام في متحف العلوم بلندن ، ويستعرض كافة معطيات الحضارة الاسلامية في مجال الصناعة والتكنولوجيا والعلوم بما في ذلك الطب والزراعة وعلم الفلك .

٤ ـ معرض الحياة البدوية والحياة المدنية في الاسلام :

يقام في متحف الانسان بلندن ، ويبرز هذا المعرض أوجه ونماذج ومميزات الحياة البدوية والحياة المدنية في اطار الامة الاسلامية ثم تطورها عبر العصور ضمن الجوهر الاساسي في حياة المسلمين وهو الترابط الوثيق بين الخالق والمخلوق ، بين الطبيعة والانسان ، وهناك ثلاثة عناصر رئيسية في هذا المعرض تعبر عن تلك الفكرة ، أولها عنصر الحياة البدوية في كافة أرجاء العالم الاسلامي ، ثم عرض عن مدينة صنعاء الاسلامية في اليمن ، وأخيرا عرض عن مدينة فاس الاسلامية في المملكة المغربية ، وقد أخذت هاتان المدينتان كنموذجين أصيلين لطابع المدن الاسلامية القديمة حيث أنهما تحتفظان بعناصر قيمة من تراث المدنية الاسلامية التقليدية .

٥ ـ معرض الآداب في الاسلام (عالم الاسلام) :

ويتكون من أداء عرض من ثلاثة فصول تحتوي على أهم المنجزات الادبية في الاسلام .

٦ ـ معرض الموسيقى :

ويشتمل على عرض الادوات والتركيبات الموسيقية التقليدية المختلفة والتي تواجدت عبر الازمان في مختلف أرجاء العالم الاسلامي .

٧ ـ ندوات المحاضرات العلمية :

وتتكون من عدد يربو على المائة محاضرة تلقى

مجسم الحرم المكي بمكة المكرمة

مقياس ١ : ١٥٠

أثناء انعقاد المهرجان وتشتمل على عناصر مختلفة في العلوم الاجتماعية والتاريخية والادبية في الاسلام ·

٨ ـ معرض الافلام السينمائية :

ويشتمل هذا على مجموعة من الاشرطة السينمائية التي تعرض تباعا طيلة فترة انعقاد المهرجان ، وتركز مواضيعها على ابراز العناصر الرئيسية فى المجالات التي لم تستعرضها برامج المهرجان المختلفة ·

٩ ـ مطبوعات المهرجان :

روعي عند تأسيس هيئة المهرجان انشاء منظمة متبثقة عن تلك الهيئة تعنى بطبع ونشر وتوزيع مؤلفات علمية واعلامية تصطحب فترة انعقاد المهرجان ، وقد تمخض عن ذلك المجهود مايزيد على سبعين مطبوعا مابين مؤلف علمي ، وكتاب اعلامي ، وكتالوج توضيحي عن برامج المهرجان ·

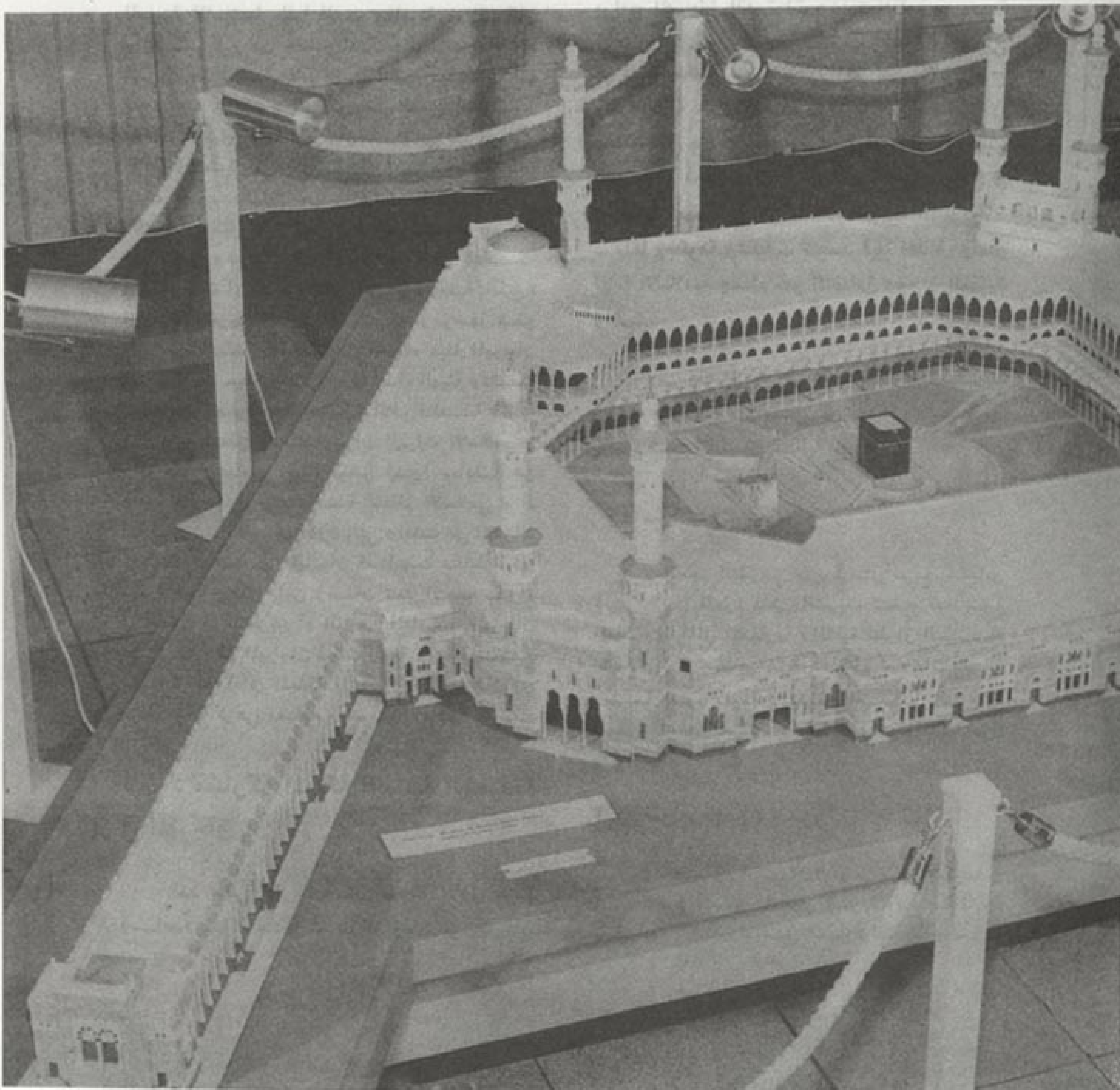

ثانيا : طريقة تنفيذ المهرجان :

منذ بداية العمل على اخراج فكرة المهرجان ـ أوائل عام ١٩٧٣ موافق ١٣٩٣ هـ ـ عقد القائمون عليه العزم على تنفيذ جميع البرامج المخططة والموضحة أعلاه داخل نطاق هيئة المهرجان على أن يتم تمويل تلك البرامج من ميزانية ابتدائية توفرت للهيئة عن طريق الهبات والمنح من أفراد وهيئات عربية واسلامية في بريطانيا ، وفي الوقت ذاته تعمل هيئة المهرجان على الاتصال بالحكومات والهيئات العربية الاسلامية طلبا للدعم والمعونة ، وقد كان هناك دعم كبير من جانب الدول والهيئات في البلاد العربية والاسلامية الامر الذي اتضح معه أخيرا أنه بدون هذه الهبات والمنح كان من العسير أن نتصور نجاحا لتحقيق فكرة المهرجان ، والى جانب الدعم المادي والمعنوي من قبل الدول الاسلامية فقد كان هناك تجاوب وتعاون من جانبها أكثر أهمية من ذلك • ويتمثل هذا التعاون في قبول الدول العربية والاسلامية وغيرها اعارة أعداد ضخمة من التحف والمخطوطات الاسلامية القيمة وذات الاهمية الكبيرة الى هيئة المهرجان لتتولى تنسيقها وعرضها ضمن البرامج المختلفة • ونسبة الى احصاء هيئة المهرجان فقد تجاوبت سبعة وثلاثون دولة لنداء الهيئة وتقدمت بما يزيد مجموعه عن عشرة آلاف قطعة أثرية وتاريخية تتعلق بمختلف ألوان التراث الاسلامي ، وان هذا التجاوب وحده ليعبر تعبيرا صادقا عن أهمية فكرة المهرجان بالنسبة للعالم الاسلامي ، اذ أنه ليس من الخفي أن الدول التي وافقت على اشتراك ثرواتها التحفية في المهرجان قد أخذت مخاطر غير يسيرة فيما يتعلق بأمن وضمان تلك التحف سواء في الشحن أو التخزين أو العرض أثناء مدة المهرجان علما بأن هيئة المهرجان ليست بجهة رسمية تتمتع بحصانة الدولة في المملكة المتحدة ، فشأنها شأن أي هيئة خيرية ترعى مصالح الفنون والآداب •

ثالثا : مشاركة المملكة العربية السعودية في المهرجان :

لقد حظي المهرجان منذ اللحظة الاولى بدعم ومساعدة المملكة عندما تشرف القائمون على المهرجان بمقابلة حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل ـ رحمه الله ـ في عام ١٣٩٣ هـ وحملوا الى جلالته رسالة المهرجان وأهدافه ، وقد وعدهم جلالته ـ رحمه الله ـ بالعون والمساعدة في اطار الدعم والتأييد الذي حرص جلالته على بذله لكل مافيه خير الاسلام والمسلمين وتمشيا مع مبدأ التضامن الاسلامي الذي كان جلالته ـ رحمه الله ـ رائدا ومنفذا له •

وفيما يخص الاشتراك الفني للمملكة في برامج المهرجان فقد تولت وزارة المعارف مهمة الاعداد لذلك وتم تكليف لجنة فنية لدراسة واقتراح ثم تنفيذ مخطط الاشتراك ، وقد كان من الواضح منذ البداية ، أن للمملكة دورا مركزيا وأساسيا في المساهمة في برامج المهرجان ليس لكون أن الاراضي المقدسة ـ محور ارتكاز الامة الاسلامية ـ تقع في أراضيها فحسب بل لأن المملكة العربية السعودية ، ـ ملكا وحكومة وشعبا ـ تتجسد فيها أهداف وآمال الامة الاسلامية جمعاء نحو التضامن ووحدة العقيدة والعمل •

ومن هذا المنطلق تم تنفيذ فكرة اشتراك المملكة في برامج مهرجان فن التراث الاسلامي بالمعروضات الرئيسية التالية :

١ ـ نموذج مجسم :

(الحجم التقريبي ٤×٤ متر مربع بمقياس ١ : ١٥٠) للحرم المكي الشريف تتضح فيه جميع المعالم والدقائق المعمارية والفنية لطراز البناء الاسلامي ، وتصطحب عرض المجسم شروحات مسجلة ومدعمة بصور ملونة تستعرض السجل التاريخي لعمارة المسجد الحرام ، وأماكن المشاعر المقدسة حول مكة المكرمة •

٢ ـ نموذج مجسم :

(حجم ١ر٥ × ١ر٥ متر مربع بمقياس ١ : ١٥٠) للمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة يمثل أيضا دقائق وتفاصيل العمارة القديمة والحديثة

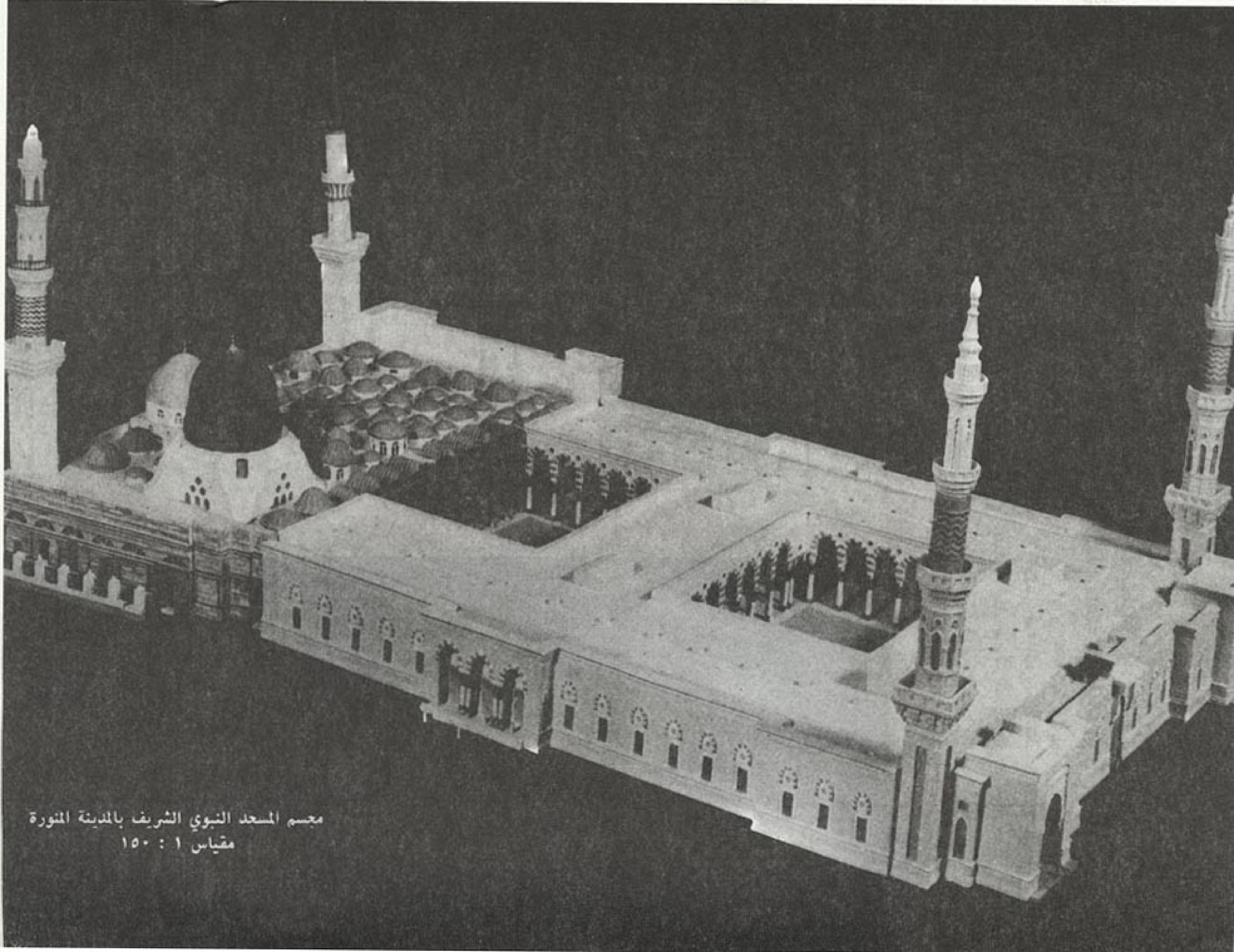

مجسم المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة
مقياس ١ : ١٥٠

في المسجد ، وكذلك تصطحب عرض هذا المجسم شروحات مصورة مثيلة لتلك الخاصة بالحرم المكي ٠

٣ ـ خريطة تاريخية بارزة :

لدرب زبيدة التاريخي (حجم مترين طولا ومتر واحد عرضا) وتتميز هذه الخريطة بأنها توضح امتداد طريق الحجاج القديم الواصل بين العراق والاراضي المقدسة والذي اشتهر بالاعمال المائية الضخمة التي تبنتها السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد العباسي ، فمن المعروف أن الدرب يتكون من عدد كبير من المحطات تبعد كل واحدة منها عن الاخرى حوالي ٢٠ ـ ٣٠ كيلو مترا ، وكل محطة من هذه المحطات تحتوي على برك وآبار للسقيا الى جانب مباني وقصور ضخمة كانت تستعمل كاستراحات لكبار الحجاج وغيرهم ، ولا شك أن هذه الاعمال المعمارية الفريدة التي تبنتها السيدة زبيدة تمثل روعة واتقانا كبيرين في فن العمارة الاسلامية ، ولا جدال في القول بأنها من بين أعظم المآثر الانشائية التي شيدت على أرض الجزيرة العربية على امتداد تاريخ العصور الاسلامية المختلفة ٠

رابعا : عرض دائري مصور للمعالم المعمارية البارزة في مدينة الدرعية القديمة :

حيث أن مدينة الدرعية التاريخية تحتل مركزا مرموقا وهاما في التاريخ القريب والمعاصر للاسلام والامة الاسلامية بفضل نشأة دعوة الاصلاح فيها على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازرة ودعم الامام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية ٠ بالاضافة الى هذه الاهمية التاريخية فمدينة الدرعية تعتبر نموذجا لطراز العمارة العربية في وسط الجزيرة الذي يمتاز بتركيزه على التوازن بين حاجة الانسان ومعطيات البيئة الطبيعية من حوله ٠

خامسا : نموذج مجسم (حجم ١×١ متر مربع بمقياس ١ : ٥٠) لمبنى المصمك في قلب مدينة الرياض :

ويعبر هذا المبنى عن نقطة الانطلاقة الاساسية لبناء الدولة الحديثة التي ارتكزت في جوهرها على مبدأ روح العقيدة والوحدة في الاسلام ، الى جانب ذلك فعمارة المصمك أيضا تمثل طرازا

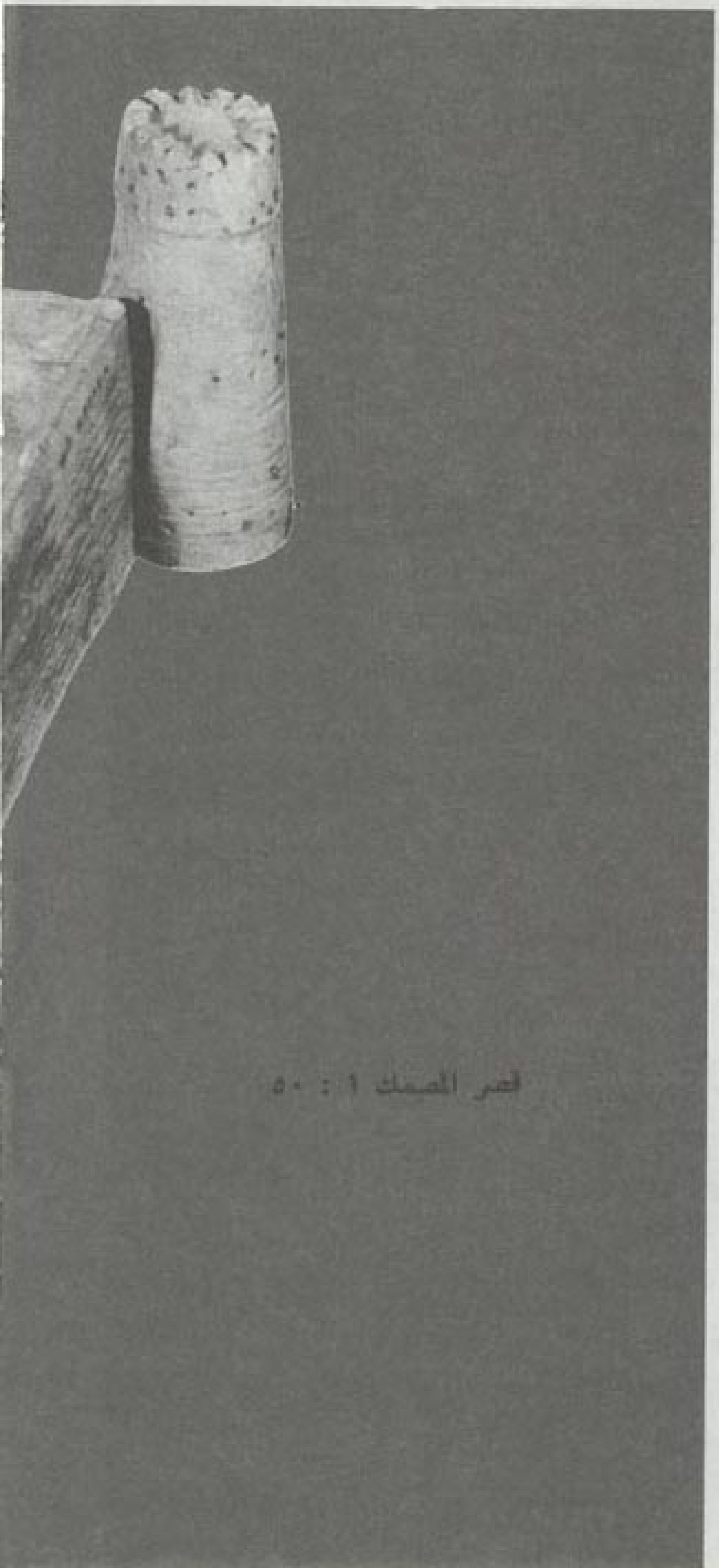

قصر المصمك ١ : ٥٠

ثابتا في فن البناء الحصين في وسط الجزيرة العربية .

واخيرا ، فمن الجدير بالذكر أن هذه المعروضات الموضحة اعلاه قد تم عرضها في مبنى المعهد الملكي للمهندسين البريطانيين في لندن منذ منتصف شهر مايو سنة ١٩٧٦ (منتصف جمادى الاولى سنة ١٣٩٦ هـ) وتستمر حتى اوائل شهر يولية سنة ١٩٧٦ (اوائل رجب ١٣٩٦ هـ)

النواحي الفنية الهامة في برامج المهرجان:

مما يؤكد الاهمية الكبيرة التي أولتها الدول المشتركة في مهرجان فن التراث الاسلامي ، والتي حرص عليها القائمون على المهرجان هو أن كافة التحف والمواد المعروضة ضمن البرامج المختلفة تمثل نخبة فنية رائعة من التراث المادي الاسلامي في شتى مجالات العلوم والصناعة ، ولكن تلك النخبة الهامة من المواد لم تكن لتحظى بالتغطية الاعلامية

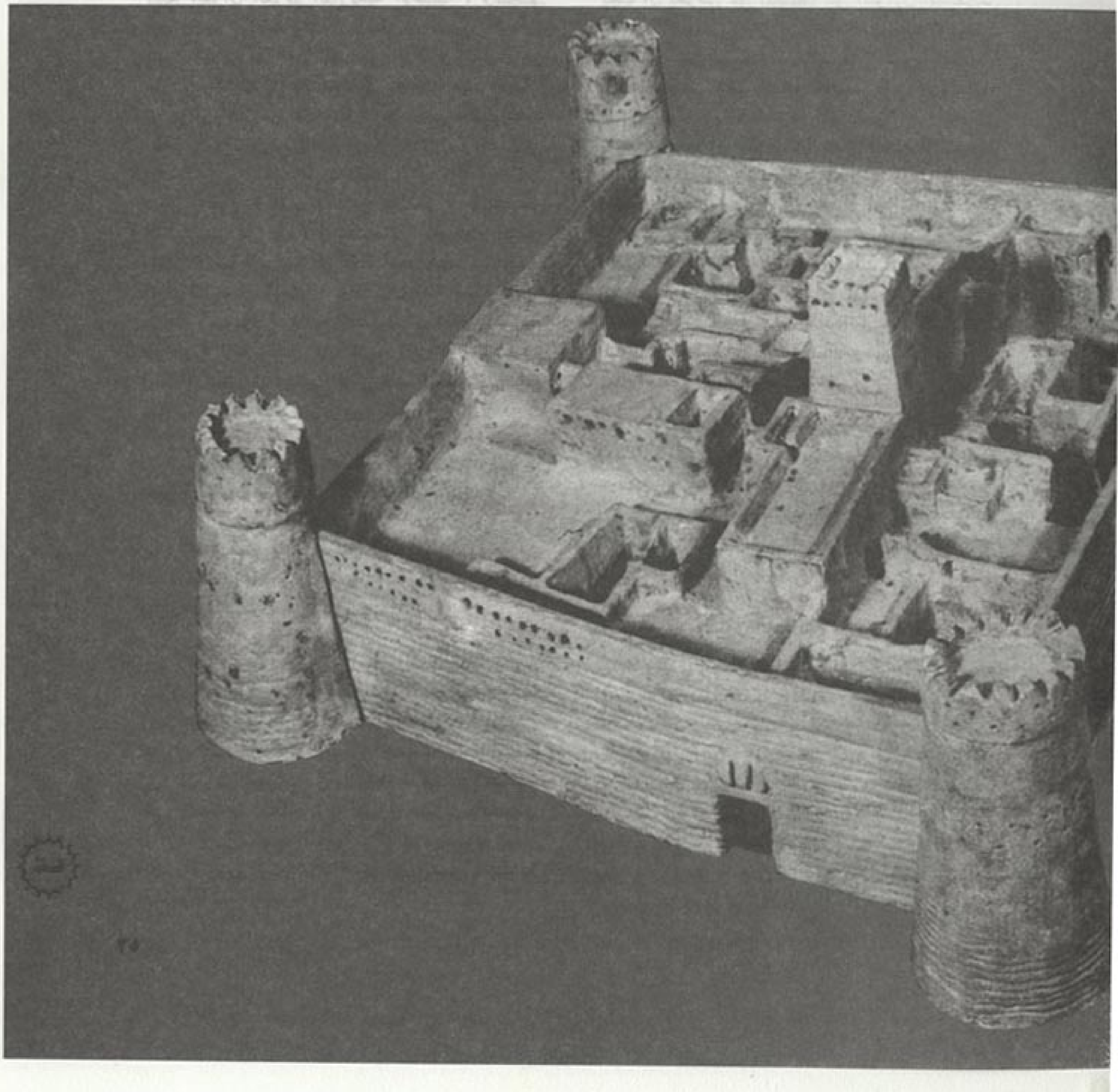

المناسبة بدون الاخراج الرائع والعناية الكبيرة التي أولاها القائمون على المهرجان للاطار الفني والمكاني للعرض • وفي رأي الكاتب ، فان أكثر برامج المهرجان جمالا وروعة في الاخراج هي الآتية وللاسباب الموضحة :

أ : معرض القرآن الكريم ـ

والذي أقيم في احدى صالات المتحف البريطاني يضم هذا المعرض مايربو عن الخمسين نسخة من نسخ القرآن الكريم التاريخية الاصلية ، وتتجلى فيها روعة الكتابة وتبيان الخطوط العربية الجذابة فضلا على روعة الفن الهندسي الزخرفي الذي يزين حواشي وغلاف كل مصحف شريف من عهد تاريخي يرجع الى أكثر من الف سنة سابقة وحتى بضع عقود خالية • وأنه لوقع وتأثير كبير في عقول ونفوس المشاهدين من أهل الغرب لتلك الروعة الفنية التي تتجلى في اخراج كتاب المسلمين المقدس • فالعمل الفني يعبر عن وحدة في الاحساس العميق ويتلمس دائما الافصاح عن مشاعر تكاد تعجز عن ترجمتها أقوال كثيرة أو أعمال • واذا جاء هذا العمل الفني موحدا ومتميزا في قالبه التشكيلي في اطار القدامة والعقيدة فانه يعكس على تاريخ الفن في الاسلام أصالة وسموا في التعبير الفني قلما انعكست على تجارب مماثلة لأمم أخرى عبر التاريخ •

ب : معرض العلوم والصناعة في الاسلام والذي أقيم في قاعات من مبنى متحف العلوم بلندن •

لقد جمع هذا المعرض أضخم مجموعة من المواد والمخترعات العلمية والطبية والهندسية التي ابتكرها المسلمون عبر تاريخهم المجيد •

ففي مجال علم الجغرافيا والفلك مثلا احتوى المعرض على أهم وأقدم الخرائط الجغرافية تاريخا والتي رسمها وأحكم معلوماتها الجغرافيون المسلمون الاوائل ، وبالنسبة للمقاييس الشمسية والفلكية أبرز المعرض عشرات من الآليات الدقيقة والحساسة التي اصطنعها المسلمون في عصور تميزت بانغلاق في الافكار والمذاهب العلمية ، ثم في مجال الطب أظهر المعرض الكثير من الاسهامات التي بذلها المسلمون لخير البشرية •

والصفة الهامة التي يتسم بها الاطار الفني وعرض العلوم والصناعة الاسلامية هي أن قالب الاخراج كان يرتكز على حقيقة أساسية حرية بالتعبير عند التحدث عن حضارة الاسلام ، تلك الحقيقة تنحصر في التالي :

بأن جميع المنجزات والمعطيات في الحضارة الاسلامية سواء في مجال التكنولوجيا العلمية أو في علم الفلك والطب أو في مجال صناعة المدنية كان ولايزال يوحدها مبدأ فريد وهو أن الانسان المخلوق يجب أن يحرص على المحافظة على التوازن المستقى من الطبيعة • بمعنى آخر أن كافة احتياجات الانسان لابد وأن تتوخى مبدأ تحقيقها من التجربة الطبيعية دون التعرض لقلب المعايير المتزنة في البيئة أو المساس بوحدوية عناصرها المختلفة • والحري بالملاحظة هنا أن هذا المبدأ الذي استنه المسلمون لقاعدة حضارتهم التليدة تفتقده حضارة الغرب في العصر الحديث وتعزى الى اهماله أو انعدامه تماما الكثير من آلام المدنية المعاصرة سواء في ناحية تقلص القيمة الفردية للانسان بين متاهات التكنولوجيا اللابشرية أو في التحدي السافر الذي فرضته القوى الصناعية للانسان الحديث ضد الطبيعة فخلفت تلوثا للبيئة هنا وأسفرت عن ارتباك وعدم توازن في بعض عناصر الطبيعة هناك •

وليس من المستبعد بمكان أن دروس وتجارب الحضارة الاسلامية على أساس مبدأ التوازن الطبيعي سوف يكون لها شأن كبير في اعادة تقييم تعامل الانسان مع بيئته واحترامه لها • وأن أقل مايمكن أن يقال عن معرض الصناعة والعلوم في الاسلام أنه أتاح لهذه الفكرة أن تبرز في مجتمع غربي •

ج : معرض الفنون الاسلامية :

والذي أقيم في صالة هيوارد بلندن ، في هذا المعرض يستقطب تفكير المشاهدين كيان فني متصل الاعضاء في تركيبه ومحتوياته ويرتكز مرة أخرى مثل المعرض السابق ذكره على مبدأ الوحدة والتوازن بين معطيات الانسان والطبيعة •. هذا في الحقيقة والواقع هو الانطباع الذي ينعكس عن العدد الضخم الذي يزيد على ستمائة قطعة فنية والتي يحتويها المعرض • فمن أمثلة رائعة مزخرفة لصناعة النسيج والسجاد في الاسلام الى ألوان من صناعات

الخزف والفخار والزجاج والمعادن التي اشتهرت بها مراكز الحضارة في الاسلام في بغداد والقاهرة ودمشق واصفهان وغيرها من المدن الاسلامية التاريخية ·

د : واخيرا :

لايفوتنا في هذا الاستعراض السريع عن البرامج الفنية في المهرجان أن نذكر معرض الحضارة البدوية والمدنية في الاسلام الذي أقيم في متحف الانسان بلندن · وموضوع هذا المعرض وان كان اعتياديا من زاوية المقارنة الثقافية عامة بين أنماط الحياة المختلفة عند جميع الامم ، فانمعالجته لهذه الظاهرة في اطار الامة الاسلامية يعكس تجربة فريدة · فمرة أخرى نجد أن حياة الانسان المسلم سواء في مستواها الريفي (أهل القرى والبدو) أو في عمقها الحضري التقليدي (فاس وصنعاء) تكاد تكون متساوية ومتجانسة من حيث علاقة الانسان بالطبيعة ·

ففي الملبس والمأكل والمسكن احترم المسلم الحضري والمسلم القروي موازين البيئة الطبيعية · وحاول المسلم دوما أن يكيف احتياجاته المعيشية ، وغيرها طبقا لمعطياتها وليس العكس ، على الرغم من وضوح مقدرته على ذلك بفضل اسهاماته ومنجزاته في العلوم والصناعة التقليدية ·

وكخاتمة لهذا المقال يجدر القول بان مهرجان فن التراث الاسلامي قد حقق نجاحا طيبا ومفيدا في اطار الهدف الذي تبناه القائمون عليه وهو اظهار حقيقة الامة الاسلامية لعالم الغرب انها امة وان كانت بينها مميزات واختلافات شكلية تعزى الى اللغة والمكان فانها تجمعها أواصر وثيقة في الروح والمبدا والعقيدة والعمل قلما عرفها تاريخ الامم ·